

٢١. لا تكن مسرفاً...



اعلم يا بني ويا بُنيتي أن الإسلام لا يجب من المسلم أن يتجاوز الحد، وأن لا يبالغ في المباح، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُدُوًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام ١٤١].
ولولم يكن في الإسراف إلا كراهية الله تعالى للمسرف لكفاه مذمة وقبحاً.

ومما عُد من مساويء فرعون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان ٣١].
ثم إن الهلاك حال بهم لا محالة قال تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء ٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر ٤٣].
والإسراف هو: "تجاوز الحد في النفقة. وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل مما له فوق الاعتدال، ومقدار الحاجة.

وقيل: الإسراف تجاوز في الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق.
وقيل: "الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، بخلاف

نصيحة

التبذير: فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي". (١)

والإسراف يكون في كل شيء في الأمور المادية، والمعنوية أيضاً، ولذلك يقال: "أسرف: جاوز الحد ويقال: أسرف في ماله وأسرف في الكلام، وأسرف في القتل". (٢)

مثال ذلك...

١- في القصاص: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) [الإسراء ٣٣].

ووجه الإسراف هنا أن لا يبالغ في القتل "بتجاوز القاتل إلى ما سواه ممن لا ذنب لهم - كما يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والأخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل - ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل". (٣)

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١١٣) [النحل ١٢٦]. أي يا من "رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه، فإن استيفاء الزيادة ظلم، والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته". (٤)

بل إن في هذه الآية "دليل على أن الأولى له أن لا يفعل، كما أنك إذا قلت للمريض: إن كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح، كان معناه أن الأولى بك أن

(١) التعريفات ص ٢٤.

(٢) المعجم الوسيط القاهرة مجمع اللغة العربية ط الثالثة ١ / ٤٤٣.

(٣) في ظلال القرآن ٤ / ٢٢٢٥.

(٤) مفاتيح الغيب ٩ / ٦٦٧.

نصيحة

لا تأكله، فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض على أن الأولى تركه". (١)

وإذا عرفت سبب نزول هذه الآية تأكد لك هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد نظر إلى حمزة وقد قتل ومثل به، فرأى منظرًا لم ير منظرًا قط أوجع لقلبه منه ولا أوجع، فقال: "رحمة الله عليك، فقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحيي من أفواج شتى".

ثم حلف وهو واقف مكانه: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح بعد: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل ١٢٦]، حتى تختم السورة، فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمسك عما أراد" (٢)

٢- في الأكل والشرب: فمن حيث تناولهما، يكون بالأكل والشراب بما يزيد عن حاجة الجسم، مما يؤدي إلى امتلاء المعدة بما لا حاجة إليه، مما يضر بالجسم على المدى القريب والبعيد، فعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، حسب آدمي لقبيات يضمن صلبه، فإن غلبت آدمي نفسه، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس". (٣)

كما أن دوام الشبع غير مستحب من الناحية الشرعية، وأنه نذير شؤم على صاحبه يوم القيامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "كف جشأك عنا فإن أطولكم

(١) المصدر السابق ٩/ ٦٦٧.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان.

نصيحة

جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ شَبَعًا فِي دَارِ الدُّنْيَا " (١)

عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ سَلِيْمَانَ وَأَكْرَهَ عَلَى طَعَامٍ يَأْكُلُهُ
فَقَالَ : حَسْبِي أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢)

ومن حيث الانفاق فيهما ، وإضاعة المال عليهما، بما يزيد عن الحاجة،
بادعاء أن التوسعة على الأهل مطلوبة، وأن هذا من باب التحديث
بالنعمة، وإظهار لأثر نعمة الله على العبد، ويجهل المسرف أن كل ذلك
يجب أن يكون بلا إسراف، وبلا مجاوزة للحد. وأن الاعتدال يُعمل به في
كل شيء، حتى لا تعقبه الحسرة والندامة قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٣)

[الإسراء ٢٩].

فأهل الاعتدال هم عباد الرحمن المستحقين للمدح والثناء قال الله تعالى:
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٤)

[الفرقان ٦٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبُسُوا وَتَصَدَّقُوا،
فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ " (٥)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا
أَخْطَأَتْكَ اثْنَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ " .

(١) رواه وابن ماجه .

(٢) رواه وابن ماجه .

(٣) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والبخاري معلقاً .

نصيحة

وهو مذموم في القليل، كما في الكثير، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من أنفق درهما في غير حقه فهو سرف".

وقال سفيات الثوري ^(١): "ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً".

٣. في الملبس والمركب: بأن يسرف الإنسان في شراء الغالي من الثياب، في حين يقوم مقامه ما هو أقل منه ثمنًا، وأقرب منه جودة.

وكذلك من يشتري سيارة بمئات الآلاف من الجنيهات، أو يزيد، في حين يقوم مقامها ما هو أقل منها سعرًا. وترك الأغلي إلى ما هو أقل منه تواضعًا وزهدًا من الإيمان، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ الْبِدَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّ الْبِدَاذَةَ الْإِيمَانِ - يَعْنِي التَّقَطُّلَ -". ^(٢)

٤. في النوم والسهو: فكلاهما مخالف لسنة الله تعالى في كونه، حين جعل للراحة وقتًا، وهو الليل. وللعمل وقتًا، وهو النهار، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [٦٧] [يونس: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ

(١) هو سفیان بن سعید بن مسروق بن حبيب الثوري الربابي التميمي ولد بالكوفة في خلافة سليمان بن عبد الملك العام ٩٧هـ وتوفي العام ١٦١هـ بالبصرة كان عالماً ثقة زاهداً ورعاً قال شعبة: ساد سفیان الناس بالورع والعلم قيل للفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: من إمامك في هذا؟ قال: سفیان الثوري، وكان عاملاً بعلمه قال: ما بلغني عن رسول الله - ﷺ - حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

(٢) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه والحاكم في مستدرکه .

نصيحة

نُشُورًا ﴿١٧﴾ [الفرقان : ٤٧] ، فلا الإسراف في النوم نهارًا ينفع، ولا الإسراف في السهر ليلًا ينفع. بل فيه الكثير من إضاعة الجهد، فالإسراف في النوم يُعوِّد الإنسان على الكسل، ويُضَيِّع عليه فرص العمل والتقدم، ويحرم المجتمع من جهوده.

والإسراف في السهر يجعل الإنسان يستيقظ مرهقاً لقلة ساعات نومه، مما يفقده التركيز في عمله، ويفقده جزءاً كبيراً من طاقته وتركيزه.

٥. في الانفعالات : كالفرح والحزن، فالإسراف في الفرح والضحك خطر على قلب المؤمن، الذي من شأنه الخشوع لله تعالى، والوجل منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتَاءٍ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

[المؤمنون: ٦٠].

وكثرة الضحك يا بني سبب لإماتة القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " (١).

وهي علامة الأمن والطمأنينة، وعاقبة ذلك وخيمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [التوبة: ٨٢].

كما أن الإسراف في الحزن خطر على صحة الإنسان، أجمع على ذلك كل طبيب وحكيم " فالحزن والقلق يؤديان إلى المرض وتلف الجسم والموت السريع.. والحزن أيضاً يسبب قرحة المعدة.

يقول الدكتور جوزيف مونتاغيو: "أنت لاتصاب بالقرحة بسبب ماتناول من طعام بل بسبب ماياكلك. ويقصد بها يأكلك الحزن والقلق.

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

نصيحة

وطبقًا لمجلة " لايف " تأتي القرحة في الدرجة العاشرة من الأمراض الفتاكة التي تودي بحياة العديد من الأشخاص.

واليك بعض آثار الحزن والقلق على جسم الإنسان :

- * أمراض القلب.
- * رفع ضغط الدم.
- * الروماتيزم.
- * قرحة المعدة.
- * الإصابة بالبرد.
- * تلف الغدة الدرقية.
- * مرض السكري.
- * التهاب المفاصل.
- * التأثير على توزيع الكالسيوم في الجسم وبالتالي تلف الأسنان.
- * الانهيار العصبي.

* أما الخطر الكبير للحزن والقلق هو الانتحار". (١)

٦. في العبادات : فعن مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ
بِرْفَقٍ ، وَلَا تَبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا
ظَهْرًا أَبْقَى " . (٢)

(١) مقال من موقع منتديات نجوم مصرية .

(٢) رواه البيهقي .

نصيحة

وَأَسْرُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ" (١).

وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَجِّهًا فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً، فَجَعَلْتُ أَحْسَنَ عَنْهُ وَأَعَارَضُهُ، فَرَأَنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَاذْطَلَقْنَا نَمْشِيًّا جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يُصَلِّيُ يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَرَاهُ مُرَاتِبًا، فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَأَرْسَلَ بِيَدِي ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَيْهِ فَجَمَعَهُمَا وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بِحِيَالٍ مَتَكِبِيَّةٍ وَيَضَعُهُمَا وَيَقُولُ: عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبُهُ" (٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلِبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا، وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّبْجَةِ" (٣).

من مزار الإسراف ...

- ١- يجلب غضب الرب لأنه ينافي كمال الإيمان.
- ٢- التشبه بالشیطان في الإفساد.
- ٣- إضاعة المال والفقر في المآل.
- ٤- الندم والحسرة على ما ضاع من غير فائدة.
- ٥- يطبع المجتمع بطابع الانحلال والبعد عن الجد والاجتهاد.

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد اللفظ له والبيهقي والحاكم.

(٣) رواه النسائي والبيهقي وابن حبان .

نصيحة

٦- يدع المجتمع عالة على غيره، عاجزاً عن القيام بمهامه".^(١)
من مضار التبذير...

١- فيه طاعة للشيطان، ومعصية للرحمن.

٢- يباعد من الجنة ويقرب من النار.

٣- المبذر أخ للشيطان.

٤- في التبذير رجوع إلى الجاهلية.

٥- في التبذير اتلاف للمال وتضييع له.

٦- التبذير عند الموت لا يُعد من الصدقة المقبولة، وهو مردود على صاحبه.

٧- التبذير يؤدي للفقر ويحتاج صاحبه فيما بعد إلى الذل للخلق.

٨- المبذر معرض للعين والحسد والحقد عليه.

٩- في التبذير اتباع للهوى وبعد عن الحق.

١٠- التبذير يُشعر الإنسان بالمرارة، خاصة إذا اقترب الأجل".^(٢)



(١) نضرة النعيم ٩/ ٣٨٩٥.

(٢) نضرة النعيم ٩/ ٤١١٩.